

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١٦)

أساس الخير والشر هو شر الآخرة وخيرها

العارف بالله

مولانا

فضيلة الشيخ / ماهر إسماعيل جاهين

رحمه الله تعالى

وجزاء من الإسلام والمسلمين خير الجزاء

أساس الخير والشر

هو شر الآخرة وخيرها

من المعاني التي نستخلصها من الدرس

- ١- ليس المهم أن ننطق ونقول : أنا عبد . لكن الأهم هو أن تعمل بمقتضي عبوديتك . ويصبح الاعتراف بالعبودية حقاً لا جدال فيه حينما تأخذ كتابك يمينك ويعلو صوتك ليقول (هَآؤُمْ أَقْرَعُوا كِتَابِيَّةً . . الآيات)
- ٢- يموت الإنسان تسقط صفته ، فلا يقال احملوا فضيلة الشيخ أو ارفعوا الدكتور أو اللواء . بل يقال ارفعوا الجثة .
- ٣- جاء الرسول عليه الصلاة والسلام ليخلص البشرية من براثن الشرك و ليأخذ بيد الأمة الإسلامية إلى توحيد بارئ الأرض و السموات .
- ٤- لو عرف المؤمن خالقه لاستحي أن يعصيه ، ولا استحي أن يقول أنا صليت ، لأنه يرى أن الله هو الموافق و المعين .
- ٥- كل عبادة مشروعة علينا أن ندخلها بداية بالإيمان حتى ييسرها الله ، ويتقبلها منا .

- ٦- في فريضة الصيام يقول الله (**فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ**) و الشهود أنواع - شهود رؤية - وشهود بصيرة بالقلب - وشهود البصيرة لرؤية الخيرات الكثيرة من مغفرة الذنوب و العتق من النار .
- ٧- حينما يتصور المكلف أن الصوم يوم واحد تروى عن نفسه المشقة فلا يجد عبء التكليف . أما ما بقي بعد هذا اليوم فمن يدري ما سيكون ، فقد يطرأ علي الصائم سفر أو مرض أو ربما يواتيه أجله قبل نهاية الأشهر . لذا فمن الحكمة أن يضع هذا في نظره حتى لا يترك للشيطان مدخلاً يدخل إليه .

أساس الخير والشر هو خير الآخرة وشرها

الحمد لله الكبير المتعال ، و الصلاة و السلام علي من
اصطفاه ربه واجتباه ، صلاة وسلاماً دائمين متلازمين إلي يوم
الدين ، وسلم اللهم تسليماً كثيراً :

ينطق الإنسان ويقول بعد : أنا عبد • • ليس المهم أن تقول
أنا عبد • لكن الأهم والمهم : هو الاستسلام و العمل بمقتضى
هذه العبودية • ، متى يكون قولك : أنا عبد ويصبح القول
حقاً ؟ عندما ترحل إلي الدار الآخرة و تصبح من الفائزين
الذين يأخذون كتابهم بأيمانهم : ساعتها يحق لك
القول لتنطق بملء فمك و تقول : أنا عبد (إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ
كَانَ مِيقَاتًا) • (فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَآؤُمُ
اقْرَءُوا كِتَابِيَةَ • أَنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةَ • فَهُوَ فِي عِيشَةٍ
رَاضِيَةٍ • فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قَطُوفُهَا دَانِيَةٌ • كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا
بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ) والظن في الآية هو ما يقرب
من اليقين : ولعلم كل مسلم أن ما في الدنيا كلها هو كذب
في كذب • فلا مال ولا أهل ، ولا سلطان ينجيك من عذاب
الله : و الإنسان لا يستطيع أن يصطحب معه شيئاً مما كان

معه ، فلا ينتقل العالم بعلمه • مثله مثل أي جاهل عند
خروجه من الدنيا • لا أحد يخرج من الدنيا بماله ، لا أحد
يخرج بوظيفته ، ومن الغريب أنه عندما تخرج الروح صفته
تسقط في المجتمع ، لا أحد ينطق ويقول : احملاوا الشيخ فلان
أو احملاوا الدكتور فلان أو اللواء فلان • ولكن الكل يقول :
ارفع الجثة : خرجت الجنازة : وحق علينا قول القهار (كُلُّ مَنْ
عَلَيْهَا فَاَن) الجاه و العظمة والسلطان ، والمال كل هذا وقع
عليه الفناء بالنسبة للمتوفي • ومن أعجب العجب أن الجميع
حوله يريدون أن يتخلصوا منه حتى لا تتعفن هذه الجثة ، أو
تضايق الجميع بتغير رائحتها ؟ أليس هذا واقعنا ؟ ولتعلموا أن
علاقة الزوجة بزوجته إنما هي علاقة دنيوية بحتة إلا من
شملهم الله برعايته • وكانا زوجين صالحين وهذا نادر جداً
لكن علاقة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين
علاقة إيمانية بحتة : (النَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ
أُمَّهَاتُهُمْ) (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ
حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) إن ابني لن يسعدني ،
وزوجتي لن تسعدني : لكن الذي سيسعدني حقيقة هو رضا ربي

ورضا رسوله عني ، لذلك عبر القرآن بقوله (**النَّبِيُّ أَوْلَىٰ**
بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) لأنه جاء لينقذهم من برائثن الشرك
ويخرجهم من ظلماته إلى نور التوحيد لذا استحق أن يحبه
المؤمن أكثر من نفسه (وفي ذلك يقول عليه السلام **والله لا**
يؤمن ، والله لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من
نفسه وولده والناس أجمعين) صدقت يا رسول الله •
فقولك صدق ، وعملك حق • وأعلموا أنه لن تعرفوا ربكم
إلا بقلوبكم ، ولن تعرفوا أنفسكم إلا بما وصفكم به الله •
ومشكلتنا على حسب خبرتي في حياتي الطويلة : أننا لم نعرف
أنفسنا ، ولم نعرف ربنا • ولذلك قرنت أوصاف الإنسان في
القرآن بالخسة والضعفة : (**إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**) (**إِنَّ**
الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ) (**وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ** • **إِلَّا**
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) الآية الرابعة (**وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى**
الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ) تلك طبيعة التكوين : ولو
تدبرنا القرآن وعملنا به لأصلح كتاب الله من شأننا ، كما
أصلح حال المؤمنين من قبلنا • وحينما أنزل الله القرآن أنزله
كي يصلح هذا الإنسان ويهيئه لحياه طيبة في الآخرة (**إِخْوَانًا**

عَلَى سُرٍّ مُتَقَابِلِينَ) لو عرف الإنسان خالقه لأستحي أن يعصي ربه، لو عرف الإنسان ربه لأستحي أن يقول أنا صليت ، لأنه سبحانه هو الموفق ، وهو المهيمن • وهو الذي يوفقك ، ويهديك إلى العمل ، ولذلك قيل: لا إله إلا الله معبودا ، محمد رسول متبوعاً ، ولا علاج للإيمان والعبادة إلا بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم كاملاً و شبه هذا بسيارة : السيارة مليئة (بالعدد) : لو نقص منها شئ صغير إذا لتوقفت السيارة : لكي تمشي السيارة لا بد أن تكون التركيبة كاملة • ومعنى هذا أنه لا يمكن أن تقترب إلى الله إلا إذا آمنت بما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام إجمالاً وتفصيلاً • ولما كان من الصعب علينا أن نقفدي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ينبغي : فرض الله علينا شيئاً واحداً تؤديه كل يوم خمس مرات • وهو الصلاة (إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا) أي أن الصلاة بالله لا بد أن يكون الله معبوداً وسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : متبوعاً وهذا يستوى فيه الغنى والفقر (هذا وللصلاة شروط صحة) ثم قال الشيخ رحمه الله قبل أن نستكمل الكلام

عن الصلاة لا بد لنا بمناسبة أننا في شهر رمضان أن نعلق
تعليقاً سريعاً على آية الصوم في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ ٠٠٠٠ الخ) معنى كُتِبَ : فرض : لماذا لم يقل : كتب الله
عليكم الصيام (وإن كان هذا من قبيل اللغة) إلا أنه لا بد لنا
أن نكشف عن السر في هذا : لأن الصيام مقترن بالإيمان
وإيمانك بالله يقتضيك أن الله لا يكتب على عباده إلا ما هو
خير لهم والصيام مدته ربما تكون طويلة وكبيرة في نظر
الإنسان ، ولذلك لا بد أن نوضح الأمر بمثال ، حينما يولد
الجنين يعلم عنه أهو ذكر أم أنثى ، وجرت العادة بأن يفرح
النساء بالذكر لأن الذكر سيؤدي رسالة بالاجتماع ، ولكن
الحقيقة هي أن المرأة لا تستطيع أن تعيش بلا رجل ، لأنه هو
الذي يحميها وذلك للإحساس بضعفها : تصور أن مجموعة
كبيرة من النساء تريد أن تنام في مكان يكون متسعاً ولو بعض
الشيء : لا يستطعن أن يعرفن للنوم طعاماً ، بخلاف ما إذا كان
معهن رجل ولو كان مسناً فإنهن سيهدأن : وسينمن قريرات
العيون ، تلك هي الطبيعة البشرية التي خلقت عليها المرأة .

ولتعلم أن الصلة بالله لا تكون إلا بالقلب : (الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)
إذا فكل عبادة مشروعة علينا أن ندخل فيها بالإيمان ولكنك
اليوم تخرج إلى الصلاة ، وليس في قلبك أنك ستقف بين
يادي الله . مثل هذا التصور ساقط في الاعتبار ، فلا يخطر
على بال المسلم أنه سيؤدي الصلاة على طريقة سيدنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم مستوفاة الأركان والشروط ، متوجة
بالخشوع لبارئ الأرض والسماوات : وفي قول الله (كُتِبَ)
لا بد أن يكون ذلك مقرونا بالإيمان لأنني حينما أستحضر
الإيمان في قلبي لا يمكن أن أتضايق لأن إيماني يجعلني أعتقد
بأن الله لا يفرض أمراً إلا وفيه سعادة فأدخل على أداء
الفريضة . بقلب ثابت وعزيمة قوية ، قويه لأن ذلك مقرون
برضا الله وسيحقق السعادة لي في الدنيا والآخرة : وكان
التعبير بقوله سبحانه (كُتِبَ) لأن أوجه الخير في الصيام
متعددة الجوانب ، ولأن المؤمن فيه يشارك الملائكة وفي قوله
(لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) لأن الصيام يخرجنا من دائرة تشبهنا
بالحيوانات لأنها تأكل وقت ما تريد ، وكل ما تريد .

هست حياتها مقننه • لكن الصوم يأتي ليقنن للمسلم
جميع جوانب الحياة ، وليحد من حيوانيته وغرائزه • فلا
يطلق كما تنطلق الحيوانات • بل طعامه ، وشرابه ، ونومه ،
صلته بأهله بمقتضى الشرع وخاضعة لإذن المولى وهذه هي
عبودية الحق : هذا الشهر الكريم فرضه الحق كي نعيش
ثلاثكة شهرا من العام : والتقوى لن تتحقق على الصورة
الكريمة إلا في هذا الشهر (أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ) تشعر بالتخفيف :
لكنها عند المؤمن تفيد التعظيم : بمعنى أن هذه الأيام مع قلتها
قد تساعدك كثيراً على حصول المغفرة ، ودخول الجنة ، لأن
الله عظمها بتزول القرآن فيها ، ولأنها هي التي تقرر مصير
المؤمن • والقرآن حينما أقر صيام الشهر وفريضة ، أحل الفطر
للمرضى والمرضع ، والمسافر ، والشيخ المسن ، فكأنه بهذا
أسقط التكليف ، ما دام المسلم قد قبل رخصة ربه • وهذا هو
الأهم في نظر الإسلام • وحينما بينت آيات أن القرآن
الكريم نزل في هذا الشهر إلا أن آثاره ممتدة على طول الأيام ،
لذا فلا يصح أن نرتبط بقراءة القرآن في هذا الشهر ، ثم
نعرض عنه بقية العام • كلا فما دامت ثماره باقية

(هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيَّنَّتْ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ) فلا بد أن تستمر القراءة ، ويستمر التدبر والتعليق به ، لأنه أعظم ألوان العبادة ، (فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ) الشهود نوعان : شهود رؤية الهلال • والرؤية بالبصر • والنوع الثاني شهود آثار هذا الشهر ، وآثار تلاوة القرآن • وهذا الشهود لا يكون إلا بالبصيرة والقلب : وحينئذ سيزداد إيمان المؤمن ، وسيعلو يقينه • شهود البصر يتأتى ويتيسر لكل من تعرض للرؤية • لكن شهود البصيرة لمن كان له قلب يبصر به هذه الخيرات الكثيرة وهذه الأنوار النازلة من السماء • لو أقصر الإقبال على الخيرات في هذا الشهر فقط لأصبحنا (كبائعي الكنافة) والمؤمن في شهر رمضان كل أحواله عبادة • فهو حينما يفطر عبادة ، وحينما يصوم عبادة ، لأنه أفطر بإذن من ربه • فهو في الحالتين تتمثل فيه العبودية ، لأن الأمر بالفعل ، والترك من الله ، والامتثال لهذا هو العبودية المطلوبة من المؤمن : يفسر هذا:الوضع الذي يكون عليه المؤمن من حيث أن نهاره صيام ، وليلة قيام ، فلا مجال هنا لحظ النفس ، لأنها مجردة من هواها • قد يتصور البعض أن تناول الفطور تخلص من

الصيام • ولكن هذا المعنى بعيد عن فهم المؤمن • فالمؤمن يتناول طعام الإفطار ، لأنه يريد أن يتم صومه كما أمره ربه في قوله عز وجل : (**أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ**) ففي طعام الفطور عون على قيام الليل ، وفي طعام السحور عون على صيام النهار وفي تناول كلا الطعامين أجر • والصيام لا يتم إلا بتناول الفطور •

والمؤمن إذا ما لاحظ هذه المعاني الإيمانية فأفطر إمثالاً لأمر ربه ، وتسامياً عن حظوظ نفسه وإذا ما تناول السحور إمثالاً لخالقة ليتقوى على العبادة فإن هذا الصنف من المؤمنين هو الذي عناه الرسول بقوله ما معناه (**من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**) ومثل هذا المؤمن تعلق روحانيته في هذا الشهر فيعيش مع الملائكة الأطهار ، وتحسب له كل ساعات الشهر عباده أي ٧٢٠ ساعة توضع في ميزان حسناته بفضل هذا الشهر العظيم ، ومن أجل هذا نستطيع أن نفهم معنى قول الرسول عليه الصلاة والسلام ما (**من صام رمضان وأتبعه ستاً من شوال كان كمن صام الدهر كله**) ومعنى قول الرسول عليه الصلاة والسلام في الحديث السابق

(**غفر له ما تقدم من ذنبه**) هذه شهادة البراءة والتخرج
وجنى ثمرة الصيام الذي يرضى عنه مشرعه ، ثم توضح بعض
الأحاديث الأخرى مدى اتساع رحمة الله الممثلة في عتق الكثرة
الكثيرة من المؤمنين الذين رضى الله عنهم بما أخلصوا في
صومهم ، و لا شك أن هذه الصورة تبين بوضوح ما لهذا
الشهر العظيم من فضل كبير حيث تترل فيه الرحمات الواسعة .
فإذا ما كان آخره تضاعف عتق المؤمنين من النار . فهو شهر
الاختبار الذي يمتحن فيه صدق المؤمنين ، وقوة عزائمهم ومدى
عبوديتهم لخالقهم ، ورضاهم بهذا التكليف . ومثل المؤمنين
في هذا الاختبار مثل اختبار التلاميذ آخر العام حيث يقف كل
تلميذ على نتيجة جده . إن خيراً فخير وإن شراً فشر .
وأحب أن أبين أن هناك عوامل مساعدة على فعل الخير ، تتمثل
هذه العوامل في حبس النفس عن شهواتها . ثانياً حبس
الشیطان كما وضحت الأحاديث في قول الرسول صلى الله
عليه وسلم : (**وصفدت الشياطين**) أي كبلت بالأغلال .
ولنعلم أن حبس الشياطين لا يشعر به إلا المؤمن الصائم : أما
غير المؤمن الصائم . فشيطانه في حرية تامة ثم يحكي الشيخ

(رحمه الله) قصته مع سائل معاند ومكابر فقال رحمه الله :
في بداية سؤال هذا الأخ أحسست انه معارض ومكابر حيث
قال : (المشايخ يقولوا إن الشياطين مصفدة في شهر رمضان
فكيف نصدق هذا ؟) قال الشيخ أردت أن أضربة ضربة في
الإجابة تقضي على غروره . فقلت له أنت تسأل عن
الأحاديث : هل عندك شك في سند هذه الأحاديث قال لا .
ثم قلت له من علامة أن الشياطين مصفدة أنك صمت ، لأن
مثلك لا يمكن أن يصوم إلا إذا صفدت الشياطين : الأمر
الثاني حينما أنزل إلى شارع الخرطوم سننظر هل هي مربوطة
من الأمام أم من الخلف ؟ يقصد الشيخ من هذا أن الشيطان لا
يرى : لقول الحق (إِنَّهُ يَرَبُّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ)
فلو كنا نستطيع رؤيته لتصورنا الكيفية التي بها يربط
وهذا مستحيل . ومن هنا أحس السائل بخطأ سؤاله .

أجاب السائل : الحمد لله قد استرحت الآن لأني فهمت مراد
الحديث . وهنا بين الشيخ رضي الله عنه . فقال : إن
للشيطان وظيفة كلنا يعلمها . وهو لا يؤدي وظيفته إلا
في ظلام ، ولذلك نحن جميعاً نعلم : أن وظيفة الشياطين

كانت شبه معطلة أيام نزول القرآن ، لأن القرآن نور :
(قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ) ولما كان القرآن نورا
فظهر الشيطان حينئذ محال . و شهر رمضان نور ، لأن الله
ميزه بتزول القرآن ومن هنا كان عمل الشيطان ضعيفا .
وتأثيره على الصائم القائم يكاد يكون معدوما . بهذا أتضح
معنى قول السيد المعصوم سيدنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم (**وصفدت الشياطين**) ومما يساعد على ضعف عمل
الشيطان في شهر رمضان أن الله ضيق مجارية بالجوع . فلا
تكون له سطوة على الصائم . وأما حديث سيدنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم الذي بين فيه أن الشيطان إذا سمع
الآذان ولي وله ضراط .

فإذا ما انتهى الأذان رجع يمارس وظيفته . هذه أدلة تتجمع
كلها لتدل على أن الشيطان يضعف بوجود هذه العوامل :
وللشيخ رحمه الله رأي جميل في النظرة إلى الصوم حتى يخف
الشعور بالتكليف . فيقول حينما يدخل الشهر على المسلم
عليه أن ينظر أنه مطالب بصوم اليوم الذي هو فيه فقط ولا
ينظر إلى أنه مطالب بالشهر كله والله يقول :

(وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ
الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ) وحينما
أتسحر فإني أتسحر لصيام يوم . ولست مطالباً بكل الشهر
فقد يتزل بالإنسان مرض ، وقد يعرض له سفر ، وقد تنتهي
حياة المؤمن قبل أن يتم شهر الصيام ، لكن الشيطان يضع
أمام الإنسان الشهر كاملاً ، وهنا يشعر بعبء الصيام : أما إذا
تصور المؤمن أنه مطالب بنفس اليوم الذي يصومه فقط سيهون
عليه الأمر ، وسيحب التكليف ، وستنهض عزيمته ، وحينئذ
يقبل على أداء العبادة بنفس راضية مستبشرة وضرب مثلاً
لذلك هل العمل على الموظفين خفيف وظله مقبول يوم السبت
أو الخميس ؟ أجاب المستمعون جميعاً يوم الخميس قال لهم :
العمل في يوم الخميس خفيف لما يعقبه من أجازته . ثم وضح
أكثر بقوله عندما أتسحر لا شك أي سأظل شبعان لا أشعر
بأني صائم حتى أحس بالجوع حينئذ تكون الساعة قد بلغت
الواحدة ظهراً أو الثانية . من الساعة الثانية لو احتسبت فترة
الصيام لكانت ساعات قليلة ثم بين ما هو أعظم فقال : إن
مجرد النية والعزيمة على الصيام تشعر المؤمن بيسر العبادة

والطاعة ثم أنتقل إلى أمر هام جداً لبينه : الحق يقول (يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ إلى قوله تعالى (لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ) المؤمن يقف عند قول الله تعالى (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)
ليعرف ماذا طلب منه ؟ المطلوب من المؤمن حسبما تقول الآية
أن نتقي المحارم كلها . فعلينا بمقتضى هذا الصيام . ألا نغتاب
، وألا نغش أحداً ، وأن نتجنب اللغو ، وأن نتجنب جميع
الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وعلينا أن نطرق ما استطعنا
أبواب الخير كي نحقق الهدف من صيام هذا الشهر الفضيل
ثم يعجب الشيخ حالنا فيقول : إن العهد الذي بيننا وبين الله في
هذا الشهر مقصور على عدم تناول الطعام والشراب أما غير
هذا فلا يدخل شيء منه في العهد ويستمر في توضيح هذا الأمر
فيقول حينما يريد الصائم الوضوء فيتمضمض نراه يبالغ في
عدم وصول شيء من الريق إلى بطنه لكننا نراه بعد ذلك يجلس
ثلاث ساعات يغتاب ثم يقول بعد هذا أنا صائم . لماذا ؟ لأننا
لم نفهم بعد : المراد من الصوم الذي يريده الله منا ولذلك
يقول إن المدخن لا يفكر في التدخين بعد السحور . لكن
عندما يقترب المغرب نرى المسلم الصائم يضع العلبة أمامه .

فما إن يؤذن المغرب حتى يقبل على التدخين بنهم • وحينما يدخل المؤمن على عبادة الله مستحضرا العهد الذي بينه وبين الله فإن عبادته ستتجه دائما إلى الوجه الأكمل • ولنضع أمامنا مثلا قول الله تعالى بالنسبة للصلاة : (إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا) لو دخل المسلم بالعهد الذي أخذه على نفسه عند الصوم ووضع نصب عينية (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) إذا تبدل حال المؤمن ولأصبحت الصلاة بالنسبة إليه معراجاً ، ولضعف الشيطان بين يدي المسلم ، فلا تكون منه وسوسة • ولتغير حال المصلي فلا يقترب من الفحشاء والمنكر ، لأنه حافظ على عهد الله ، فوفقه وهداه ، وسلك به إلى صراط الله المستقيم : وعندما يقول المسلم في بداية صلاته • (الله أكبر) فالأكبر يجب الأصغر ، ثم وضع أن الصلاة تجمع الفرائض ، الأخرى من صيام ، زكاة ، حج وقال إن الصوم المندرج في الصلاة تجعل المؤمن يستشعر عظمة الصوم ، ويتهياً لاستقبال الشهر مستقبلاً هذا • ولقد سبق توضيح هذه الأشياء في كتيب سابق ثم تعرض لمسألة هامة جداً وهي : أن معرفة الله لا تتحقق إلا بمعرفة ضده • ولنعلم أنه لا صراع بين العبد وربه

في السماء • إنما الصراع مركز كل ميدانه الأرض التي نعيش عليها ، والنفس التي نحيا بها :

وإن الأوصاف التي وصف بها الإنسان لم نصدق نحن بها حتى نطلب العلاج • والقرآن الكريم وضع ما عليه الإنسان من صفات ذميمة • منها (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ) (إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا) ونحن لو آمنّا بما وصفه القرآن للإنسان لبحث الإنسان عما يصلحه من شرائع ربه • ولنهض إلى تلك التكاليف الشرعية التي تخلصه من عيوبه : قلنا ونؤكد ما قلناه أننا لو آمنّا بما وصفه ربنا لبني الإنسان لبحثنا عن العلاج كما نفعل في دنيانا حينما نشعر بمرض فأتنا نهرع إلى الطبيب ، كي يشفي المرء ويتخلص مما به من مرض • والمؤمن العاقل لابد أن يهتم من غير شك بأمور أخراه ، ويضعها في المرتبة الأولى ، تتصوروا حينما يبحث عن الدواء فلم يجده فإنه يجند من يبحثون له عنه ، إذا وجب علينا كمؤمنين موحدين أن نبحث في كتاب الله وسنة رسوله عما يصلح شأننا ، ويجعلنا أهلاً للحضرة الربانية وليتأكد كل مؤمن أن صلاح حاله متوقف على ذكر الله (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ

(اَثْقُلُوبُ) والصلاة جامعة لذكر الله كما بينا . والحق يقول
(اَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي) وكما أن الصلاة جامعة لذكر الله .
فهكذا فاتحة الكتاب جامعة لمعاني القرآن . وكانت سورة
الفاتحة من أعظم منن الله على عباده ، وبما أن القرآن لا يتيسر
حفظه للكثير منا . ضمن الله الفاتحة ما يشتمل عليه القرآن
من معان :

(الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) جرد عبده من الحول والقوة ، فلا
محمود إلا الله ، وكل ما في الكون يقتضي حمده (وَهُوَ الَّذِي
سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ) ، ألم يسخر الله لك عينيك ؟
: ألم يسخر لك بصرك . ؟ ألم يسخر لك كل جوارحك . ؟
بيده سبحانه أن يعطل ما شاء منها فلا يكون لها عمل ، فعلى
المؤمن أن يسخر ما خلق الله في مرضاته (رَبِّ الْعَالَمِينَ) كل
العوالم .

يا أخوة الإيمان . قفوا معي وتأملوا بربي وربكم : المعنى الواسع
لكلمة رب العالمين ثم استشعروا فضله عليكم حينما جعل كل
هذه العوالم مسخرة لكم .

أي شكر وأي ثناء وتحميد يستحقه ذلك الرب الكريم - !!؟
العجز في كل شيء شأننا ، والقدرة على كل شيء شأنه ،
سبحانه من إله قادر رحيم . (الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) كل عفو ،
كل مغفرة مذكورة في القرآن من مفعولات صفة الرحمن
الرحيم ، الرحمة الشاملة ، الرحمة الخاصة - أي رحمن الدنيا ،
رحيم الآخرة .

كل العوالم : الجن ، والإنس ، الكافر ، المؤمن ، الحيوانات ،
الطيور ، الحشرات كل هذه الأشياء مشمولة برحمته ، لكنه
خص المؤمن بصفته الرحيم ، لأن رحمته العظمى تتجلى في
الآخرة . ثم قال الشيخ ومن أراد أن يعرف الفرق بين الرحمن ،
الرحيم ؟ : فليقرأ سورة الرحمن : انظروا إلى صفة الرحمن : تلد
الحيوانات ثم تذبح نتاجها . وتبيض الطيور وتفرخ ثم تمتد يد
الإنسان إليها بالذبح فلا تتوقف عن الإنتاج لأنها معدة
لهذا ، لو لم يكن رحمن لما ساح الحديد . أما الرحيم فهي
صفة جزائية تتعلق بالآخرة كما قلنا (مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ) تمثل
الوعد والوعيد وعلينا أن نوحّد الله ، لأنه هو وحده الحي :
والمؤمن يتصور أن شهادة وفاته قد خرجت ساعة ميلاده ، لأن

كل مولود نهائته الموت ، وكما أن لكل مولود نهائية
فلكل بداية نهائية حيث انتهى حديث الليلة إلى تلك النقطة
وأرجو ، وألح في الرجاء ، وآمل من كل قارئ كريم أن نرود
معاً في حلنا وفي ترحالنا وفي صلواتنا .

(اللهم علمنا ما ينفعنا ، وأنفعنا بما علمتنا ولا تكلنا إلى
أنفسنا طرفة عين أو أقل منها) :

و انظروا معي (رحمنا الله جميعاً) إلى دقة تعبير الهدى النبوي
الشريف كي يبين خطورة النفس حينما عبر وقال (طرفة عين
أو أقل منها) . وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي
الأمي وعلى آله وصحبه وسلم .

والحمد لله بداية ونهاية

ربيع اول ١٤٢٦هـ